**المحاضرة 05**

## الرواية الإثنوغرافية 1950م-1955م

**مقدمة:**

تبدأ مرحلة الرواية الإثنوغرافية من 1950-1955م رغم قصر هذه المرحلة إلا أنّ الروائيين الجزائريين حاولوا كتابة روايات بخصوصية ثقافية واجتماعية جزائرية، لكنهم وجدوا أنفسهم مرة أحرى يدورون في فلك الاستعمارية رواية موجهة للمتخيل الفرنسي، حيث ظهرت فيها سياسة فرنسا التي وجهت التعليم في الجزائر نحو ما ترتضيه، فقد تشبع الرعيل الأول من الروائيين الجزائريين بالإثنوغرافيا الاستعمارية وبدت ظاهرة في أعمالهم رغم أنهم رصدوا فيها الملامح الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، ظهرت في هذه المرحلة أعمال محمد ديب الأولى ومولود فرعون ومولود معمري، تميزت بكونها مرحلة التململ ومحاولة إثبات الذات إزاء الآخر, ومن هما نطرح التساؤل: ما المقصود بالرواية الإثنوغرافية و كيف امتدت إلى الروائيين الجزائريين؟

**1- تحديد المفاهيم:**

**-الإثنوغرافيا:** تتألف لفظة الإثنوغرافيا من كلمتين إغريقيتين هما (Ethnos) وتعني عِرق و (Graphein) وتعني وصف أو صورة، وهي علم وصف الأعراق وهو فرع من الانثروبولوجيا، عمل ميداني يُعنى بوصف الشُّعوب، يهتم بدراسة المظاهر المادية للنشاط الإنساني من عادات وتقاليد كالمأكل والمشرب والملبس، أي أنّها وصف شامل لحياة الإنسان أو المظاهر الخارجية للثقافة التي يراها الملاحظ (السائح، العالم، الأنثروبولوجي) فيسجلها. انصبت على الشعوب البدائية، حيث كانت محصورة في مناطق معينة مناطق تعيش خارج التاريخ (تعيش حياة معزولة).

**-الانثروبولوجيا:** تتألف من كلمتين إغريقيتين (Anthropus) وتعني الإنسان و(Logos) وتعني علم أو دراسة وقد عرّبها البعض بالإناسة أو علم الإناسة، ظهر علم الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر، موضوعه الإنسان تعرّف بأنّها:"علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً ".

**-الأدب الإثنوغرافي:** اهتم الأدب الإثنوغرافي بفك شيفرة حياة الإنسان ونقلها كصورة حية، ثرية مفعمة بالحياة وحافلة بكل ظواهرها الثقافية، فيقوم بكشف الحجاب عن ثقافة مختلفة والاطلاع على تفاصيل حياة وطرق تفكير وأساليب معيشية نختلف كل الاختلاف عما يعايشه في حياته اليومية.

**2- الأدب الإثنوغرافي والاستعمار:**

بدأ هذا الأدب مع الاستعمار، فقد قامت الدول الاستعمارية بإطلاق جواسيسها (المستشرقين، علماء الجغرافيا، المشتغلين بالحفريات...) لتدوين وتسجيل كل ما يسمح لها بالتدخل، فكانت استراتيجيتها في البداية عسكرية وهذا ما يعرف بنظرة العرفان والسلطان نظرة الأنا الأوروبي للآخر هذه الجدلية فحواها أنني أعرفك يعني أنني أتسلط

عليك. وبهذا مهدت الأنثروبولوجيا الأوروبية للاستعمار، حيث عمل العالم والتاجر والجندي ورجل الدين جنبا إلى جنب على تحقيق ذلك.

قام بعض العسكريين المتقاعدين بكتابة ذكرياتهم عن الحملة على الجزائر، حيث وصفوا المناطق، واللهجات، والعادات، والتقاليد، والقبائل. فنشطت الإثنوغرافيا واتجه المستعمر إلى إدخال الجزائريين متحف التاريخ قبل أن تموت هذه الأجناس، فقدم صورة منحطة لشعب بدائي فكتب تاريخ الغالب على حساب المغلوب، وظهر القتل الرمزي للجزائر، أي إفراغ الجزائر من الحياة، من الديناميكية وإخراجها من التاريخ.

مع بداية القرن العشرين انتقلت الإثنوغرافيا من العسكريين إلى المدنيين من جامعيين وباحثين، وفي مرحلة لاحقة بدأ علم الاستعمار يدرس في الجامعات، حيث اضطلع الجامعيون بالبحث في الإثنوغرافيا، ثم انتقل هذا الاهتمام إلى الأدباء الفرنسيين الذين وفدوا إلى الجزائر فظهر الأدب الإثنوغرافي.

**3- إرهاصات الرواية الإثنوغرافية الجزائرية:**

انتقل الاهتمام بالأدب الإثنوغرافي ما الأدباء الفرنسيين للأدباء الجزائريين ممن تخرجوا من المدارس الفرنسية، حيث لقنوا الإثنوغرافيا وكأنها معرفة علمية عن الجزائريين في المراحل التعليمية المختلفة (الابتدائي حتى الجامعي) ومن هؤلاء محمد ولد الشيخ الذي له رواية بعنوان مريم في سعف النخيل والتي كتبها سنة1936. الرواية من خلال العنوان تبدو فيها إثارة، وغرابة، فالأجنبي يرحل عبر الواحات والصحراء، وهي صور نمطية جاهزة تتماشى مع فكرة البطاقة البريدية(La Carte Postale)..

**4-ظهور الرواية الإثنوغرافية الجزائرية:**

وجدت كتابات جيل الخمسينات نفسها تواجه مرحلة تشبع اثنوغرافي استعماري والذي مان يحتل الصدارة في الساحة الروائية الاستعمارية، فصارت المرحلة الإثنوغرافيا ممرا للوصول إلى التفرد، وهذا ما عبّر عنه يوسف نسيب في كتابه (مولود فرعون حياته وأعماله) بما سماه بالميل العفوي للدراسات العرقية(الاثنوغرافية).

يعتبر مولود فرعون مؤسس الرواية الإثنوغرافية في الجزائر كونه تلقى تعليمه في المدرسة الفرنسية المسماة ( L'école Normale) والتي تكون المعلمين الجزائريين، يقوم العلم الذي تلقاه على المعرفة الإثنوغرافية سعيا من الاستعمار تلقين الجزائريين النظرة الاستعمارية حتى يكون هؤلاء المعلمون الجزائريون منتجين للأيديولوجيا الاستعماري، أي أنّ كتاباته فيها تمجيد لفرنسا، فقد تعرض لماي سمى بالترويض الإثنوغرافي والذي أثر فيه طوال حياته.

ففي أول رواية له (نجل الفقير) وهي سيرة ذاتية، نجد شخصية فرولو (Fouroulou) الذي التحق بالمدرسة الفرنسية استطاع أن ينفلت من قبضة المجتمع القروي ويصل إلى ما وصل إليه وفي ظروف قاسية، فهو إنجاز عظيم، في الرواية أيضا تصوير لمنطقة القبائل على أنها منطقة بدائية ومعزولة في الزمان والمكان ومنغلقة على نفسها. من ناحية التاريخ إفراغ المجتمع من التاريخ ومن الديناميكية والحيوية، والتركيز على المظاهر البدائية للثقافة، وصف الزوايا،

العادات اللباس التقليدي للمرأة والرجل، دون أن يتعرض للاستعمار، أو للمقاومة، بل فيه تمجيد لفرنسا. التي جعلت المجتمع الجزائري ينتقل من الحياة التي تقوم على القبلية والعروش إلى حياة تقوم على مركزية الفرد، كما جعلت الأديب الجزائري يتكلم عن طريق المثاقفة، هو اندماج المثقف الجزائري في الثقافة الفرنسية (سياسة الاندماج). الرواية فيها استبطان لتلك المعرفة (عزل الجماعة عن المحيط العربي الإسلامي). فيها وصف الشخصيات والمحيط الثقافي الذي تتحرك فيه تماشيا مع فكرة البطاقة البريدية على اعتبار أنها موجهة للمتخيل الفرنسي لذلك نشرت في فرنسا حيث دور النشر التي تشجع مثل هذه الكتابات والتي تظهر تلك الصور النمطية عن الجزائر.

فقد قدّم مولود فرعون صورة عن الأهالي، وعرض نفسه وقريته أمام الجميع، فكان على يقين أنّ جهل الأوروبيين لثقافة الأهالي التقليدية المتشبعة بالروح الإنسانية، هو السبب في حقدهم، فحاول اطلاعهم على أبناء القبائل في حياتهم اليومية.